ذكريات الحكيم ونجيب محفوظ
في مقهى الشانزليزه بالأسكندرية

(يحتفظ الأديب محمود عوض عبد العال فى ذاكرته بالكثير جداً من الذكريات عن مقهى الشانزليزه حيث كان الأدباء والمثقفون يلتفون كل صيف حول توفيق الحكيم ونجيب محفوظ.. وهذه مقتطفات قليلة من الذكريات الكثيرة) .

يقول الكاتب محمود عوض : نجلس إليه كل صيف، فى مقهى فندق الشانزليزه بالإسكندرية، يحضر إلينا بعد العاشرة صباحاً، وقبله يجئ كاتبنا الكبير نجيب محفوظ.

ضحك الحكيم بصوت حلو، كمن تذكر ورقة تائهة فى ذاكرته، رفع سبابته ورسم على المائدة ألف وتسعمائة ثمانية وأربعون: تقريباً فى هذا العام كنت كاتباً فى جريدة الأخبار، وكان معنا الصحفى محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام السابق.. وسمعنا أثناء الرحلة إلى أسيوط بنوع جديد من الجرائم المتصلة بفرض إتاوة بعد الخط.. وكانت حادثة نادرة ملخصها أن إحدى العصابات خطفت راعى إحدى الكنائس دون أن تشعر أو تخدش قداسته، ثم أعيد إلى الكنيسة أيضاً بعد استلام الفدية بكل الأدب الجم! أعجبتنى الحادثة وكتبت عنها قصة قصيرة بعنوان

(معجزات وكرامات)..

عدنا إلى القاهرة وقابلت على أمين وسلمته القصة.. لكن هيكل كتب تحقيقاً صحفياً كبيراً عن هذا الموضوع بالذات.. فطلبت من على أمين وقف نشر القصة حتى لا تتكرر الحكاية فى جريدة واحدة، رفض على أمين طلبى، ونشرها مباشرة، ما حدث بعد ذلك أن هذه القصة ترجمت إلى ثلاث لغات أوروبية، بينما مقال هيكل ظل حبيس الخبر والحادثة. وهذا هو الفرق الذى دافع عنه على أمين وقتها، علماً بأن مقال هيكل كان جيداً جداً، لكن الأثر الأدبى يبقى ويستمر من جيل إلى جيل.

تأخر عن موعده المعتاد.. شعرنا بالقلق عليه.. لكنه عندما ظهر كان يضحك ويقول: اعترضنى خفير عمارة تحت التشطيب وحاول أن يصنع لى كوب شاى قائلاً:

أهلاً وسهلاً سعادة البيك

أهلاً وسهلاً

والله تشرب معايا شاى

أين؟

هنا بجوارى (على الرصيف طبعاً) سأعمل لك كوباً ثقيلاً جداً

كده.. متشكر

أنا عارفك كويس يا سعادة البيه

كده.. طب عال

هو فيه حد ما يعرفش البيه العقاد؟!

كده.. عال.. عال.. كتر خيرك على كل حال..!!

جاء الجرسون بعدد من أكواب الماء المثلج متضمناً شرطاً خبيثاً وماكراً، فأنت تشرب كوب الماء المثلج لتطلب ما تشاء على نفقتك الخاصة، ولا أحد يتناول مشروبه على حساب الآخر، باستثناء توفيق الحكيم الذى لا يدفع مليماً لأحد، ولا يدفع عنه أحد مليماً، بل هى رغبة صاحب الفندق.

قال الحكيم: أنا لا أعنى بهذه المسائل المتصلة بالكرامات مطلقاً.. لكن هناك حادثان معى لم أفسرهما حتى الآن وأرجو أيضاً ألا تجدوا تفسيراً مثلى.. الأول: أننى فرغت مرة من تناول فنجان القهوة بمكتبى بالأهرام، ثم فوجئت على جدار الفنجان برسم لفظ الجلالة (الله) كتبت على جداره "بتونة البن" بطريقة واضحة ورائعة جداً، دهشت وطلبت الأصدقاء، وتأكدوا معى من غرابتها الشديدة، وللأسف إن إحدى الصحفيات بالأهرام أخذت منى الفنجان لتقرأه سيدة طيبة من أسرتها، ثم عادت به فى اليوم التالى نظيفاً، ولم أندم على فنجان قهوة مثلما ندمت على هذا الفنجان، وأسفت لغباء الصحفية الشديد.

الحادث الثانى: أن زوجتى رحمها الله طلبت منى مرة ثلاثين جنيهاً لأمر يخصها، فقلت لها: مفلس، لكنها ردت بشكل قاطع: بل معك ثلاثين جنيهاً كاملة.

وكنا نحترم بعضنا جداً، وليس بيننا كذب ولا مواربة، ولم أفرح بخبرها عن وجود الجنيهات الثلاثين بقدر انزعاجى الشديد، لأنى فعلاً كنت موقناً بعدم وجود نقود فى

حوزتى.. ذهبت لتوى إلى دولابى الخاص، ومفتاحه معى ولا يقربه سواى، ومن عادتى الاحتفاظ بالنقود داخل المكتب.. وأخذت أقلب الكتب المخصصة لحفظ النقود، بينما هى فى الصالة تردد أرقام الأوراق، وعثرت على الورقات الثلاث الخضراء.

وخجلت من نفسى، مع دهشتى الفائقة، حيث تطابقت أرقامها تماماً مع الأوراق، وكأنها تقرأ الأرقام وهى فى يدها، بينما كانت مشغولة وقتها بتناول الدواء، كيف قرأت هذه الأرقام؟ وكيف انكشف لها ما خفى علىَّ..؟!

جاء فنجان قهوة الساعة الثانية عشرة بالضبط.. وتساءل الحكيم عن (نعمة زمبلك) المضيفة الغائبة عن الفندق، وزميلتها (زوبة مهلبية)، والمسافة بين ضحكته وضحكة نجيب محفوظ وباقى الحاضرين لم تكن موجودة.. فقد سرى المرح فى النفوس فجأة.. وأخرج بعضهم سيجارة حتى يبطل حجة شيبة رأسه المزيفة.. ساروا خلف حواء.. وتناثرت حواء النكتة والموقف على ألسنتهم.. وقال الحكيم: كتبت فى فرنسا مسرحية من فصل واحد اسمها "شباك التذاكر" لأنى كنت أحب الفتاة التى تقطع التذاكر فى المسرح، وكنت كل ليلة أذهب إليها وأقف فى صف الطابور، وعندما أصل إلى الشباك أقول لها: أريد تذكرة إلى قلبك، فتضحك وأخرج من الطابور، حتى كنت يوماً وأعطيتها المسرحية مكتوبة باللغة الفرنسية، فقرأتها، وفى اليوم التالى قبلت دعوتى إلى فنجان شاى، ونشرت هذه المسرحية فى إحدى المجلات الفرنسية.

وبعد سنوات من عودتى إلى مصر قابلنى الصاوى محمد وكان مسئولاً وقتها عن (مجلتى) وطلب منى عملاً، فأخبرته بشباك التذاكر، فأخذها منى وترجمها إلى اللغة العربية، ثم نشرها فى مجلتى.. ولكن الغريب أننى طلبت منه النص الفرنسى، وبحث عنه ولم يجده، كما فقدت منى نسخة المجلة الفرنسية أيضاً، وصارت هذه المسرحية هى العمل الوحيد الذى لى وليس لى، لأن النسخة العربية هى من لغة محمد الصاوى محمد، والنسخة الفرنسية الأصلية فقدت.

لما خرجنا إلى الشارع حيث تنتظره السيارة لتعود بالحكيم إلى بيته، صرعنا الخبر المنزلق من راديو السيارة "إطلاق الرصاص على الرئيس أنور السادات ونقله إلى المستشفى".. الرثاء والخوف والقلق، افترقنا، لا ندرى أين نقطن، وكيف سارت بنا

أقدامنا، وغاب عنا وعينا، وعاد إلينا وعينا.. من هو الذى سينجيك أيها الشعب؟.. جئنا ليلة ميلاده الثالث والثمانين لنفترق وينتهى صيف عام ١٩٨١، وما زال سؤال ملح يطاردنى، وتمتنع إجابته المقنعة، إلا إذا سمعتها من الحكيم مباشرة: توقفت عن الكتابة بإرادتى، لأن ما كتبته لم ينتبه إليه أحد، فلماذا أكتب؟.. إننى مثل شخص يضخ بترولاً دون أن يستخدمه أحد، ثم تطالبه بالضخ، لماذا..؟!

obeikandl.com